مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد 08 العدد: 02 جـــوان (2024) ص 192/ 200

تجليات الحروب الطائفية في الرواية النسوية العربية، رواية حلم وردي فاتح اللّون – أنموذجا

Manifestations of sectarian wars in the Arab feminist novel, the novel A Light Pink Dream is an Arabic model

سالمي أسماء*
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ميلة
(الجزائر)
مخبر الدراسات التراثية
asmasalmi413@gmail.com

عامر رضا
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ميلة
(الجزائر)
مخبر الدراساتالادبية والنقدية
azorida12@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
06/ 12 /2023
تاريخ القبول:
13 / 06 /2024

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المتخيل
- ✓ التمثيل
- ✓ النسق، السرد والسلطة
- ✓ الهوية.

الملخص:

سلطت الكثير من الروايات النسوية العربية الضوء على الحروب الطائفية وتداعياتها في العراق، وأثارت الجدل سياسيا وثقافيا، وقد كان المتخيل السردي أداة جوهرية فاعلة في تقديم تفسيرات مختلفة، ومن ثم الوقوف على أبعاد هذه القضية، فنجد رواية "حلم وردي فاتح اللّون" للكاتبة العراقية ميسلون هادي مجالا خصبا للدراسة، فقد حرصت الروائية على تجسيد الحرب التي قادتها أمريكا على العراق وما خلفته من صراعات داخلية وتصدعات للهوية العربية، بلغة سردية هادئة الإيقاع، لذا تتأسس إشكالية البحث على الكيفية التي أنتجها السرد في تمثيله لقضية الحروب الطائفية بتعقيداتها، بعيدا عن التقريرية حيث تأخذ طابع مساءلة الواقع الثقافي والإنساني لتخلق واقعا موازيا يحاول غربلة القيم الإنسانية، وإيجاد الصوت المناهض للعنف.

Article info

Received
06/ 05/ 2023
Accepted
13/ 06 /2024

Abstract :

Many Arab feminist novels have shed light on sectarian wars and their repercussions in Iraq, sparking political and cultural controversies. The narrative imagination has been a crucial and effective tool in providing different interpretations and exploring the dimensions of this issue, the novel

* المؤلف المرسل

"A Pale Pink Dream" by the Iraqi writer Maissalon Hadi provides a fertile ground for study, the novelist has sought to portray the war led by the United States on Iraq and the internal conflicts and fractures it left within Arab identity, using a narrative language with a calm pace. Therefore, the research problem is based on how the narrative produces representations of sectarian wars with their complexities, moving beyond mere reporting, instead, it takes on a character of questioning the cultural and human reality to create an alternative reality that attempts to sift through human values and find a voice opposing violence.

Keywords:
- ✓ *Imagination,*
- ✓ *representation,*
- ✓ *structure, narrative and power,*
- ✓ *identity.*

. مقدمة:

تسعى الرواية الحديثة إلى الخروج عن دائرة التقريرية، والخطاب المباشر ساعية لخلق شكل سردي يقوم على إيجاد علاقات جديدة تستطيع حمل رؤى الكاتب والمتلقي على حد سواء، كونها تمثل الوعي السائد فهي ليست بمنأى عن الأحداث التي يعيشها الإنسان بشكل عام، والفرد العربي الذي يعاني من الحروب بشكل خاص، فقد عالجت ولازالت تعالج الحقوق والحريات والقيم وعلاقتها بالواقع.

فالرواية من أكثر النظم اللّغوية تعبيرا عن الواقع، لها القدرة على تمثيل العالم بتداخلات المتشابكة، وإعادة تشكيل المرجعيات الثقافية وتحويلها إلى سياقات نصية تحمل نسقا ثقافيا مضمرا، ذا وظيفة تمثيلية يستعيد بكل قوة لغوية رمزية الحدث، بعيدا عن التقريرية الفجة.

وقد حققت الرواية العراقية خاصة النسوية منها، إنجازات هامة في السردية العربية ومن بين أهم تجليات الواقع العراقي وإفرازاته التي حظيت باهتمام كبير هي الحروب الطائفية التي عاشها العراق خلال تاريخه الطويل، وقد أثار جدلا سياسيا وثقافيا واسعا، ومن ثم كان المتخيل السردي أداة جوهرية له مكنة التفسير وتأويل مجريات الأحداث، ولم تخرج رواية "حلم وردي فاتح اللّون" لميسلون هادي عن هذا المفهوم إلا أنها غاصت في طبقات اللاّوعي، لتضعنا أمام سرد ثقافي تقدم من خلاله رؤية ثقافية بطريقة غير مباشرة، فهي تعمل على خلخلة الوجدان العربي للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة والمسكوت عنها، وقد حرصت الرواية على الإمساك باللّحظات التراجيدية التي مر عليها المجتمع وتداعياته على الذات والآخر.

ولأن الرواية تضعنا أمام سرد ثقافي يكون فيه فعل السرد أرضية مشتركة متحركة غير ثابتة، كونها تستثمر المعطيات الثقافية ذات الصلة بالحروب الطائفية بطريقة غير مباشرة، لتعيد تقديمها بعد تحليلها على ضوء المتخيل المشترك، فالمنهج المتبع هو النقد الثقافي الذي بإمكانيه استنطاق النص ما يسهل البحث في دلالة الأنساق المضمرة، ومن ثم الكشف عن المسكوت عنه، لذا ينطلق البحث من إشكالية مفادها كيف تمثل النص السردي قضية الحروب الطائفية بتعقيداتها؟ وماهي أبرز التجليات السردية للحروب الطائفية التي ناقشتها الرواية؟

-وماهي أهم الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية؟.

2.الأنساق الثقافية وتمثلاتها السردية

يعد النسق الثقافي مقولة مركزية وقاعدة يتأسس عليها النقد الثقافي من خلاله يمكن للقارئ الناقد أن يكشف عن التمثلات السردية في الرواية، فهو مجموعة من "البنى المتماسكة التي تكونها الثقافة وتحميها لتكون لها الغلبة دائما والهيمنة على تفكير الإنسان حتى تصبح جزءا أساسيا من شخصيته، وقناعات تتحكم بسلوكه، ولا ينبغي أن يفهم من هذا أنّ النسق الثقافي يكون سلبيا فحسب، فهناك أنساق إيجابية لابد من وجودها لحماية المجتمع من التشتت

والانهيار"(الشرماني، 2019 صفحة 12)؛ فلكل مجتمع مقومات تعد بمثابة الدعامة الأساسية المكونة لأفكاره والصانعة لشخصيته بما تحمله من شقها الإيجابي والسلبي، أحيانا تكون ظاهرة وأغلبها مضمرة.

لكن هذا لا يعني أنّ النسق هو الوعي الجمعي بالتحديد بل هو مخزون الأنساق، فحين يعيد النص الأدبي إنتاج هذه الأنساق بمحمولاتها الدلالية فهو بدوره يتأسس على نسق ظاهر وآخر مضمر، فالأول قرين الثاني "ونقيضه في آن فهو يلازمه ولا ينفك عنه، ويختلف عنه ويناقضه فالنسق الظاهر يعلن عنه ويتجلى في سطح النص وفي معانيه وأبنيته في حين يعمل النسق المضمر على الاختفاء والتوازي والانزواء في أعماق النص، وفي بنيته العميقة بل ربما في بنيته الصامتة والخفية في المسكوت عنه في النص" (بولكعيبات، 2017 صفحة 433)، فالبنية الظاهرة تحيل إلى البنية الكامنة وإن بدت أنها تناقضها فهي من شأنها أن تفسر سلوك الفرد ونظرته واعتقاداته اتجاه نفسه والآخر.

فالنسق جزء من السياق العام للنص الأدبي لذا قد يشتمل الخطاب على أنساق متنوعة ومختلفة ضمن سياق واحد كالنسق الديني والسياسي ونسق الهوية وغيرها، تكون مختفية بشكل غير واعي لا يظهر على سطح اللغة متخفي في اللاوعي الجمالي للنص وهو ما يجب على الناقد اكتشافه واستخراجه.

أما التمثيل السردي فلا يعني إعادة تصوير الواقع كما هو، بل قراءته ومن ثم تفكيكه وإعادة تشكيله كون التمثل "نوع من الجراحة التشكيلية التي تجري على المادة الخام للخبرة (خبرة إدراك الموضوع) وهكذا يقال أنّ الشاعر يقوم فقط بحذف أو إضافة العناصر يغيّر أو يحذف فيها يفكك أو يجمع ما قام بملاحظته" (عبد الحميد، 1992 صفحة 101)، فهو يرتبط بطبعة العلاقة بين الدال والمدلول لإنتاج العلامة تكون حافزا لإنتاج علامة أخرى ضمن نسق آخر.

يتجاوز التمثيل السردي الواقع و"يتخطاه إلى إعادة تشكيل متنوعة، وذات مستويات متعددة، للعوالم والمرجعيات الثقافية بما يمكن اعتباره إعادة تشكيل نصية لها، يتم فيه تجاوز الواقع والأحداث إلى تمثيل دلالتها العامة، والعلامات الدالة في تلك النصوص تتظافر من أجل خلق عوالم نصية متخيّلة" (إبراهيم، 2016 صفحة 54)، ولدراسة هذه التمثلات لابد من إعادة البحث في البيئة النسقية المتمخضة عنها، ولا يتحدد التمثيل بالنص السردي فقط فهو يعيد تشكيل العوالم والمرجعيات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتتناظر بذلك العوالم النصية المتخيلة بالعوالم المرجعية فتتحدد وظيفة التمثيل" (الكعبي، 2005 صفحة 25)، إذا ليست مهمة التمثيل التسجيل بل هدفه الاهتمام بالكيفية التي تعتمدها النصوص في إنتاج مرجعيات وفق أنساق معينة.

لا يمكن بما كان دراسة التمثيل السردي الثقافي بمنأى عن النسق الثقافي، فالأول يتكئ على الثاني بما أنّ النص "حامل للأنساق الثقافية التي تحكم المجتمع إنّه حامل لتصوراته عن ذاته ولتصوراته عن الآخر وللحدود الفاصلة بينهما"(الخباز، 2009 صفحة 24)، هكذا يلعب النص لعبة الايهام بالمطابقة حيث تقوم بتذويب الواقع في المتخيل عن طريق التمثيل السردي.

3. إشكالات الحروب الطائفية:

تطرح رواية "حلم وردي فاتح اللّون" لميسلون هادي إشكالية الحروب الطائفية وما يترتب عليها من صراعات خارجية متمثلة في الدين والأزمات الاقتصادية والثقافية والسياسية، وتصدعات داخلية تكشف ع ما يعانيه الفرد على المستوى الشخصي من أزمة الهوية إلى البحث عن الذات في ظل انهيار القيم الانسانية، وقد حظيت هذه المفاهيم بتمثلات سردية تراوحت بين المقاومة والاستسلام القبول والاستنكار ما يدفعنا إلى البحث عن الأنساق الثقافية المضمرة، التي من شأنها أن تكشف عن البنية العميقة والرؤيا التي ترومها الرواية.

1.3. نسق المقاومة:

يعد العنوان العتبة الأولى التي لابد من طرقها قبل الدخول للنص الأدبي فهو مفتاحه الذي يستطيع الكشف عن الوجه الآخر للمتن، خاصة بعد أن "تحولت هذه الموازيات إلى خطاب قائم بذاته" (عبد الله، 2010 صفحة 664)، من شأنه أن يكشف لنا عن أوجه متعددة للعنوان، وهو ما نلاحظه في الرواية قيد الدراسة الموسومة ب"حلم وردي فاتح اللون" فيبدو من الوهلة الأولى أنها تأخذ طابعا رومانسيا خاصة من خلال توظيف كلمة الحلم الذي أردف باللون الوردي الذي يحمل دلالة الإشراق والأنوثة وما يزيد هذا المعنى وضوحا تعالقه مع الغلاف الذي تظهر فيها صورة امرأة تلبس فستانا أبيض عليه لطختين ورديتين، تميل برأسها على صدر رجل يقف خلفها.

لكن إذا ما عمدنا إلى تفكيك العنوان تظهر لنا جوانب خفية أعمق من هذه الرؤية السطحية، فهذه الصورة الأولية تعمل على تظليل المتلقي، الذي يجد نفسه بعد قراءة الرواية يقف على خراب ودمار الفرد العراقي وخاصة المرأة جراء غزو أمريكا وما خلفته من حروب طائفية وصراعات داخلية، تكشف لنا القراءة الأولية على أنّ:

-"الحلم": يشير إلى مفهوم الطموح والتطلع إلى مستقبل أفضل، يمكن أن يكون هناك رغبة في تحقيق شيء خيالي أو طموح عظيم.

-"وردي": يرتبط تقليديًا بالنعومة والأنوثة، يمكن أن يكون لهذا اللون دلالات إيجابية، وكثيرا ما يرتبط بالجمال والرومانسية.

-"فاتح اللون": يشير إلى السطوع والوضوح، كما يمكن أن يُفهم أيضًا على أنّه تمثيل للضوء أو الأمل رغم الظروف القاسية، كما يمكن أن يعكس الأمل والتفاؤل، وقد يُربط بتحول إيجابي في الحياة.

إذاً يمكن أن يكون القول بأن العنوان تمثيل لحلم مشرق وطموح يحمل في طياته النعومة والرومانسية، وفي الوقت نفسه يتسم بالوضوح والتفاؤل، ويرمز إلى الأمل والطموح في مواجهة الظروف الصعبة للحياة بعد الحروب، ويمثل توقعًا لمستقبل أفضل وأكثر إشراقًا.

إذا توغلنا في قراءة العنوان نجد أنّ الحلم وهو الجزء الخارج عن وعي الانسان سواء أكان إراديا كأحلام اليقظة التي كثيرا ما تعبّر عن تصورات الانسان، أو حلم المنام الخاضع للاوعي، وتجعل له الكاتبة لونا ورديا قد يعبّر عن الطموح الرغبة في التغيير للأحسن ثم تؤكد على أن هذا اللون فاتح بعيد عن القتامة الرغبة في تجاوز المحنة، والتطلع لمستقبل أفضل، والأمل في الغد، وإذا ربطناه بسياق ال رواية فإنه ليس حلم الكاتبة وحدها إنه رؤيا لا بد أن تتجلى واقعا، وهو ما يتماشى وصورة الغلاف التي تعبّر عن البحث عن الأمان فالرجل هنا بمثابة جدار تستند عليه المرأة التي أرقتها الوحدة والمسؤولية.

إذا عبارة "فاتح اللون" تعكس وضوح هذا الحلم ونقاءه، وتمثيلاً لرغبة جامحة لتحقيق التغيير والسلام بعد فترة من الظروف الصعبة، وهو محاولة لإظهار قوة المرأة وإرادتها في تغيير واقعها.

إذا العنوان اختزال وتعبير عن الحلم الوردي الذي يرمز إلى الأمل والرقة وواقع الحروب والصعوبات، وتمثيل للقوة والقدرة على التحول وتحقيق التغيير رغم التحديات التي قد تواجه المرأة العراقية في سياق الحروب، لذا لا عجب أن جعلت الكاتبة بطل الرواية أنثى، تحكي لنا عن معاناة الشعب العراقي، وخاصة المرأة، التي كانت لابد لها أن تكون وجهين الرجل /المرأة لعملة واحدة وهي المقاومة.

إذا أخذنا شخصية المرأة "ختام" فنجد أنّ "الحلم الوردي" هو تمثيل للعلاقة المستقبلية التي توقعتها المرأة "ختام" مع خطيبها الذي هاجر ربما كانت تحلم بحياة سعيدة ومستقرة معه، لكن الظروف أجبرتها بعد رحيله على خوض تجربة لم تحسب لها حسابا والدخول في فترة جديدة وغير معروفة في حياتها.

لهذا يبرز العنوان جملة من التناقضات فالوردي يشير إلى الرقة والأمل، في حين أن الظروف الحربية ورحيل الخطيب يعكسان الصعوبات والتحديات الرحيل، أين كانت هجرته المفاجئة سببا في التحول الكبير الذي حدث في حياة "ختام" والتي تحتاج إلى التكيف مع هذه التحولات والبحث عن الأمل الجديد.

هكذا يُظهر العنوان الانتقال من حلم متوقع إلى واقع غير متوقع، وكيف يجب على الشخصية التأقلم والبحث عن الأمل في وجه التحديات، ليفصح العنوان عن نسق المقاومة في سياق التحديات التي تخوضها الشخصية ف"الحلم الوردي" رمز للطموحات والأماني الذين كانت المرأة تحملهما للعلاقة مع خطيبها، أين كانت هناك توقعات وأمنيات لحياة مستقرة وسعيدة، لكن رغم تأثير الرحيل والهجرة على الحالة النفسية والعاطفية لختام التي وجدت نفسها تخوض تجربة مؤلمة ومحطمة، إلا أن رغبتها في البحث عن الأمل والإشراق حتى في ظل الظروف الصعبة والحرب كانت أقوى.

أما إذا أخذنا شخصية نسائية أخرى في الرواية وهي "أم ياسر" التي تسعى لتهجير ابنها، بعد ان أصبح مطلوبا لدى الحكومة فمثلت له الحماية والسند في ظل غياب الأب، باحثة عن فترة جديدة وغير معروفة، تحتاج فيها إلى التكيف مع الظروف الجديدة والبحث عن سُبُل للبدء من جديد.

باختصار، يمكن تفسير العنوان في هذا السياق على أنه يتناول تحولات في حياة المرأة، وكيف يجسد التغيير والبحث عن الأمل في مواجهة التحديات الناجمة عن الظروف الحربية، هكذا يصبح العنوان وجها من أوجه المقاومة، لا من أجل البقاء بل بفرض المرأة لأنوثتها وقيمتها بشتى الصور.

وها هي بطلة الرواية "فادية" تؤكد هذا التصور حين تصّر على شراء الشتلات وهو ما يكشف عليه الحوار الذي دار بينها وبين عمار:"من أين تأتين بكل هذه السنادين وكل المشاتل مقفلة؟

قلت له: هناك مشتل واحد لا يزال يجازف بالبقاء مفتوحا ويقع قرب نفق الشرطة" (هادي، 2009 صفحة 20)، يظهر عمار استغرابًا وتوترًا حول مصدر السنادين وإغلاق المشاتل، بسب الحرب، فكأنّه يتساءل بينه وبين نفسه عن السبب الذي يجعل شخصا ما يجازف بحياته من أجل بيع الشتلات، خاصة وأنّه قريب من نفق الشرطة، لذا فبقاء المشتل مفتوحا قرب "نفق الشرطة" رمز للتحدي أو المقاومة أمام السلطات ما يعبّر عن تعبيرًا الصراع والجرأة في مواجهة الظروف السائدة.

2.3. نسق الهيمنة الذكورية:

تعرف المرأة بطبعها الضعيف، وهذه فطرتها التي خلقت عليها إلا أن هذه الجبلة تقابل من طرف المجتمع الذكوري بنظرة دونية تنقص من قيمتها، هذا ما جعل المرأة تفرض نفسها وتقاوم هذا النسق الاجتماعي بالرفض، الذي تجسد لفظا وفعلا، ونجد في الرواية تمثيلا سرديا لهذا الرفض، فها هي فادية تثبت أنها أفضل من الرجال حين يتعجب عمار من ذكائها وقدرتها على التركيز في مجالات شتى فيقول منبهرا: "عفيه عليك ..هم رياضية ..وفلاحة ..وأستاذة" (هادي، 2009 صفحة 20)، إنها صورة المرأة المثقفة التي تحمل وعيا.

وفي سياق آخر نجد رغبة المرأة في كسر الصورة النمطية المتعارف عليها، حيث عهدنا خطبة الرجل للمرأة التي تخجل حتى من الرد على طلبه، لكن شخصية ختام تحاول تجاوز هذا الطابو ر وتقترح على فادية أن تقوم بخطبة ياسر طالما أنها معجبة به، وهو ما ورد في المقطع التالي: "ضحكت وقلت أجاريها في جدها، هازئة:

-قابل أخطبه؟

-نعم اخطبيه.. تزوجيه" (هادي، 2009 صفحة 79)،لكن بالرغم من شخصية فادية المتزنة والمثقفة إلا أنّها تجد في هذا الموضوع عيبا وعارا، فالمرأة تستقبل المبادرة لكنها لا تبادر وهو ما نلاحظه حين أخذت تنتظر أن يكلمها ياسر في الموضوع، "ثم

ترك المضخة وراح ينظر إليّ ...كان يصطاد كرجل كهف، حمامة أليفة وهو الآن في اللّحظات الأخيرة من الإمساك بها، وعليه الاقتراب منها بحذر لكي لا يدعها تهرب أو تطير"(هادي، 2009 صفحة 109) إذا نجد أنّ:

-رجل الكهف : دلالة الفحولة لا يهم مستواه التعليمي أو ان كان مثقفا أو جاهلا.

-حمامة وديعة: دلالة الاستسلام الانقياد.

ما يكرس بشكل ضمني فكرة التفوق الذكوري، الذي يملك زمام الأمور، وهو ما ينسحب على شخصية ختام التي تتميز بالجرأة والبحث عن الحرية خاصة حين قررت التخلي عن فكرة الانتظار لخطيب مهاجر لن يعود، وها هي فادية تصف ما تفعله ختام من أفعال تبدو غريبة وعبثية "ثم رفعت القفص الفارغ عاليا وهي تتمتم ببضع كلمات ورمته بعيدا عن البيت فطار عبر السياج إلى الهواء ثم سقط سقطة مدوية في عرض الشارع ظل صداها يتردد" (هادي، 2009 صفحة 19).

قد يبدو رفع القفص فعلا جسديًا عاديا يتعلق بالتحرك والرفع، ولكن القفص الفارغ يضيف بعدًا من الفهم العاطفي أو الرمزي، كأنها بذلك تطلب حريتها المسلوبة خاصة وأن هذا القفص ظل معلقا طويلا أمام منزلها، فرميها له إنما هو تخل عن القيود والأغلال التي ملت

منها وهي تنتظر خطيبها كي يعود بعد أن هاجر وتركها ، فللتمتمة بالكلمات تشير إلى أن هناك شيئًا يُنطق به بصوت منخفض، مما يُلقي الضوء على الداخل العاطفي أو النفسي ورميها له بعيدا دلالة على إلى الابتعاد أو الانفصال، وحين "ظل صداها يتردد" ، إحالة إلى أنّ الصدى يُشير إلى استمرار الآثار الصوتية، ويمكن أن يكون رمزًا لتأثير الحدث الفعلي في نفسية ختام.

إذا هي محاولة للخروج من الهيمنة الذكورية عن طريق تغيير الأفكار التي تحملها الأنثى عن الرجل، ورغبتها في تحمل مسؤوليتها بعيدا عنه.

3.3. نسق العنف:

تناقش الرواية في ظاهرها مسألة الحرب الأمريكية على العراق، وآثارها على الأصعدة جميعها فقد استخدمت أمريكا "كل أنواع الرعب من ضربات جوية وصاروخية، ومدفعية وهجمات برية إضافة إلى عمليات خلف الخطوط تهدف إلى تسريع انهيار الدفاع العراقي وسقوط بغداد" (العايدي، دت صفحة 115)، ومن ثم فرض هيمنتها وسيطرتها على البلاد، وهو ما هذا ذهبت إليه الرواية حيث تصف الرعب الذي عاشه الفرد العراقي وهو ما يؤكده هذا المقطع في الرواية "ثم ازداد شعوري بالخوف أكثر فأكثر عندما ترددت إطلاقات نارية قادمة من الشارع الذي يقع خلف بيتي، وسمعت أصوات جنود الأمريكان ينادون **go.. go.. go..**" تبعها على الفور صوت دبابة كأنها تدور على نفسها" (العايدي، دت صفحة 19)، تصف هذه الجملة موقفا طارئا يتسم بالخطر حيث تعكس التوتو والخوف وحالة اللا استقرار التي عرفتها العراق.

بعد الغزو الأمريكي على العراق فرضت استراتيجية تهدف إلى زعزعت استقرار البلاد وخلق انقسام وانشطار في الهوية الوطنية المشتركة، فقد اعتمدت على الميليشيات الكردية الموجودة لخلق صراعات داخلية من شأنها اضعاف المقومات الأساسية التي يقوم عليها المجتمع وجعل بنية هاشة قابلة للزوال، ونشر التوتر، وهو ما يكده المقطع التالي في الرواية "هكذا نحن منذ أن وعينا وفتحنا أعيننا على هذه الدنيا ونحن نركض ونمشي ونزحف على البطون ... في كل يوم انقلاب وفي كل عام حرب.. وقد جربنا كل شيء (...) وآخر المطاف قتلنا بعضنا بعضا" (العايدي، دت صفحة 19)، هي إشارة صريحة الصراعات الداخلية التي تجعل من أبناء البلد الواحد أعداء.

تبث لنا الرواية بين ثناياها إشكالية الصورة المتكررة، فكأن الفرد متعود على هذه المشاهد الحربية المريعة، "حدث هذا وأكثر بعد حرب الكويت" (العايدي، دت صفحة 47)، ثم تعمل على تجاوزها فتجعل منها صورة طبيعية لمستعمر يحاول فرض سيطرته على البلد المحتل بالقتل والتنكيل بالجثث، وإطلاق الرصاص فليس هذا ما يثير في النفس الدهشة والاستغراب.

لكن ما يبعث القلق والرعب ويدعو إلى التساؤل هو فقدان الأمان من أبناء الوطن الواحد وهو مانجده في المقطع التالي: "وعادت الأم وقالت إنها خافت من الابتعاد كثيرا عن البيت، لأنّ الطريق كان خطرا من كثرة العسكريين، فسألها ابنها هل هم من الشرطة أم الجيش أم الحرس الوطني؟ فقالت إنّها لم تعد تفرق بين الثلاثة" (العايدي، دت صفحة 66) تكشف لنا هذه العبارة على المستوى السطحي الخوف الشديد الذي أحست به الأم فيتضح أن أنها قد شعرت بالخوف والقلق من الابتعاد عن المنزل، بسبب الظروف الأمنية، والخطر الذي يشكله وجود العسكريين في المنطقة.

أما البنية العميقة فتظهر عجز الأم على التمييز بين الشرطة والجيش والحرس الوطني، ما يعكس عدم وجود الفارق بين القوى الأمنية في الواقع وتشابك الأدوار أو الاندماج، كما تعكس هذه العبارة رفض الأم للجهات الأمنية التي لا تمثل مصدر أمان بل أصبحت مصدر رعب وقلق وتشويش في الحياة اليومية للمواطنين نتيجة للتداخلات العسكرية، لذا أصبحت مواقف المواطنين اتجاه السلطة متضاربة، ما يؤكد تأثير السيطرة العسكرية على الحياة اليومية بشكل عام.

تبث فينا هذه العبارة حالة عدم اليقين والقلق الذي يمكن أن يشعر به الناس في سياق الظروف الأمنية الصعبة، حيث يتساءلون عن طبيعة السلطة، وفي مقطع آخر يأخذ الخوف بعده النفسي الحاد ليصل إلى اليأس وفقدان الشغف والرغبة في الحياة تقول بطلة الرواية "ما من شيء أكيد في أنّ الأمور ستمضي بسلام إلى نهايتها ومنذ أن بدأ الناس يفقدون أولادهم في الحرب مع إيران انتهى ذلك العصر الذي لم نكن نسمع فيه إلا بموت العجائز والشيوخ.

قال عمار، وهو يضحك ساخرا كمن لا يهتم على الإطلاق بما كنت أقوله:

-الآن العجائز قاعدات على قلوبنا، والشباب يموتون بالجملة"(العايدي، دت صفحة 19)

تحمل هذه العبارة أجنة القلق وعدم اليقين حيال المستقبل، وتشير إلى أنه لا يوجد شيء مؤكد أو ثابت، ما يميط اللثام عن تأثير الحروب الطويلة على نفسية الأفراد وتفكيرهم في المستقبل، ففقد الأمهات لأبنائهن خلال الحرب مع إيران، يؤكد أنّ تأثير الحرب على الأجيال ممتد يعلن عن واقع مرير أبشع من سابقه.

وتتخذ الكاتبة أسلوب السخرية للتعبير عن الانعكاس الاجتماعي للعنف فيظهر الشخص الذي يُدعى عمار تفاعله مع هذا التغير بالضحك الساخر، فالألم ينخر الشباب الذي لا يجد له أملا في هذا البلد، لينتج عن ذلك تغير في القيم حيث يُظهر النص أن الشباب يموتون بشكل جماعي، وهو تغيير يعكس تحولات عميقة في الهيكل الاجتماعي وقيمه، ويسلط الضوء على الفقدان والمأساة التي يعانيها.

فقد أدت الحروب الطائفية إلى تشويه الهوية الوطنية العراقية وزيادة الانقسامات بين المجتمعات الطائفية، هذا ما أدى إلى زيادة التوترات وتسببت في انعدام الثقة بين مختلف الطوائفتسببت الهجمات الطائفية والتصعيد العنيف في إحداث حالة من عدم الاستقرار، مما أدى إلى تراجع الحياة اليومية وارتفاع مستويات الخوف.

يكشف هذا المشهد ملامح التراجيديا الإنسانية من خلال هذه الإشارات التي تختزن قدرا هائلا من عنف الواقع وجبروته، ما يجعله يوجه حقده وكرهه للآخر.

4.3. أزمة الهوية:

عانى الشعب العراقي في ظل الاحتلال الأمريكي من كل أنواع الظلم والذل والهوان، ما انعكس على الحياة بالفقر والجوع فضلا عن تفكك الوحدة الوطنية، لتستيقظ النعرات الطائفية فظهر ما أطلق عليه أمين معلوف اسم الهويات

القاتلة، ويلقي البحث عن الهوية والذات العراقية، "فانبرت المرأة تستغيث أنت عراقي وأنا عراقي.. لا تدع هذا الأمريكي يفرق بيننا"(العايدي، دت صفحة 66)، وفي هذا إشارة إلى تشظي الهوية أين يحارب العراقي أخاه، بسبب انهيار معاني الوحدة.

وما يزيد الأمر تعقيدا رفض فادية لجوء ياسر وأمه في بيتها خوفا من الجيش فتقول: "أنا آسفة ولكن قبل أيام فجرو ا بيتا في هذا الشارع لوجود هؤلاء ال..." (العايدي، دت صفحة 62)، يشير الحذف في نهاية الجملة إلى تحفظها وسبب خوفها لأن هؤلاء الهاربين يعدون إرهابيين في نظر الحكومة، فبالرغم من أن القضية واحدة والمصير واحد إلا أنّ المقاومون أصبحت هويتم إرهابيين.

ثم تلوم نفسها لماذا قبلت أن أفتح الباب لهارب من الحكومة وآوي مسافرا بأوراق مزورة؟ (العايدي، دت صفحة 66) تكشف هذه العبارة عن أزمة حقيقة فالعراقي صاحب الأرض لا يستطيع السفر من منطقة إلى أخرى إلا بهوية مزيفة، فلا تعالج الرواية أزمة الهوية على المستوى الفكري والتوجه السياسي فحسب بل على المستوى الديني أيضا تقول فادية "بدأت بقراءة آية الكرسي، ومن شدة الارتباك نسيت تكملتها وكان الدمع يترقرق في عيوني مثل قطرات ماء وأنا أطلب من المرأة تذكيري بالسورة فقالت لي ودموعها تجري مثل السواقي على خديها:

-أنا مسيحية."(العايدي، دت صفحة 66)

نلاحظ أنّ فاديا مسلمة أما أم ياسر مسيحة، لكن هذا ما أثار صدمة البطلة، وللتعبير عن هول الموقف أفردت الكاتبة للعبارة سطرا، وكأنها تترك للقارئ مساحة للاستيعاب، في حين نجد رغبة البحث عن الذات في المقطع التالي: "أنا لم أتنكر للموسيقى، ولكن المكان كان غير مناسب وربما أعود إلى سيرتي الأولى لأني في بيت جدي الذي يسع الأشياء كلها مجتمعة.. وفيه السجادة والمكتبة وآلتي الموسيقية .. ولم أجد الدين وحده كما هو في الجامع.

-قلت :

-وألم تجد ذلك في أمريكا ؟

-قال بلى ... ولكن عندما عدت إلى الموصل كان أمامي طريق واحد هو الدين" (العايدي، دت صفحة 102)،إذا يفرض المكان بسلطته هوية ما دون أخرى، لتعلن الشخصية التنصل من القيود المفروضة والبحث عن الذات وسط زحام الحرب والتهجير.

فقدشهد العراق تهجيراً هائلاً للسكان نتيجة للصراعات الطائفية والعنف، هاجر العديد من الأفراد إلى مناطق أخرى داخل العراق أو خارجه، مما أسفر عن تشتت المجتمعات وفقدان الروابط الاجتماعية . "عندما ذهبت إلى عزائه سمعت بعض النسوة يهنئن أمه على تمكنهم من التقاطه ودفنه وهو بكامل طوله.. ثم هرعن إلى القرآن الكريم يخفضن صوته عندما اتصلت

أخته المهاجرة من أستراليا تبشّر أمها بأنها حامل" (العايدي، دت صفحة 42)، صوفي مقطع آخر نجد "والد زوجي جد ياسر كان ضابطا قوميا ناصريا وهنا عاش أهل زوجي طوال الوقت ولكن عندما حكم البعثيون العراق سافر إلى مصر"(العايدي، دت صفحة 63)، إذا فمصير ياسر كجده الذي عانى من التهجير بسبب سلوك البعث المتسلط المتجبر الذي نكل بالمجتمع العراقي خاصة الأكراد الذين وقع عليهم العبء الأكبر للتهجير، لأنه كان لهم توجه معاد لعقيدة البعث الفاشية.

وفي سياق آخر نجد: أنا الآن هارب مرة أخرى من السفينة الغارقة.. ماذا يعني أن أرفض أو أن أعارض؟ ماذا يعني أن أشتم صديقي المترجم أو أخالفه في الرأي؟... لم تعد تفرق معي لأنّ المكان الفاشل هو الذي يخلق كل هذا الفشل وأنا لست سياسيا لكي أستطيع انتشاله من كل هذا الفشل" (العايدي، دت صفحة 135)، تكشف هذه الفقرة العبارات عن روح

مستنزفة لا تجد من الوقوف على الحياد بدا، فالرفض والمعارضة لا يجديان نفعا، إذا تحكي هذه المقاطع عن قبح الحرب وتبعاتها حين يكون التهجير قسريا، يتبعه في ذلك الشعور بالضعف وفقدان الهوية.

4. خاتمة:

-يتعامل النقد الثقافي مع النص باعتباره أنساق مضمرة، فيكشف لنا عن نوعية الخطابات وأشكال التمثيل لها.

-تختزن النماذج المختارة لنصوص رواية "حلم وردي فاتح اللّون" لميسلون هادي انساقا ثقافية مضمرة لا يمكن حصرها مارست هيمنتهاوفرضت وجودها، حيث تكشف عن الوجه الآخر للحروب الطائفية وما يترتب عليها من تحديات وصراعات.

-تمثل المرأة بحلمها وبحثها عن الذات في ظل الظروف الحربية الصعبة نموذجا إنسانيا، آثر التحدي وعدم الخضوع، لتحاول الأنثى كسر نسق الهيمنة الذكورية بقوتها واجتهادها.

-يحاول الفرد العراقي التعبير عن وجوده والاحساس بكيانه وملكيته لأرضه عن طريق المقاومة ورفض الاستسلام.

-من تبعات الحرب التهجير الذي أفقد للمواطن روح الانتماء، والشك والإحباط وفقدان الشغف في الحياة إلى جانب خلقه لأزمة الهوية، وصراع الانسان مع ذاته والآخر.

5. قائمة المراجع: طريقة

1. أحمد محمد عبد الرحمان العايدي. دت. نظرية الحرب الواحد في المائة، دراسة حالة الحرب الأمريكية في العراق. بورسعيد- مصر: قسم العلوم السياسية والإدارة العامة، كلية التجارة، جامعة بور سعيد.
2. شاكر عبد الحميد. 1992. الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة. مصر: المؤسسة المصرية العامة للكتب.
3. ضياء الكعبي. 2005. السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل). بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر،المجلد 1.
4. عبد الله إبراهيم. 2016. موسوعة السرد العربي. دبي : مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم،المجلد 1.
5. فتحي الشرماني. 2019. دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية. إربد : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،
6. محمد الخباز. 2009. صورة الآخر في شعر المتنبي. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد 1.
7. ميسلون هادي. 2009. حلم وردي فاتح اللون. بيروت : دار الفارس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد 1.
8. نعيمة بولكعيبات. 2017. النسق المضمر في نوادر جحا. مجلة فصول (عدد النقد الثقافي). 25/3،المجلد 99، صفحة 433.
9. هشام محمد عبد الله. 2010. اشتغال العتبات في رواية "من أنت أيها الملاك"، دراسة في المسكوت عنه". مجلة دبالي. 47، صفحة 664.